

والوجوديون أيضاً من دعاة الالتزام المتحمسين له ، حتى لقد وجه أحد الكتاب إلى زعيمهم « سارتر » نقداً قال له فيه « إذا كنت تريد أن تلتزم فماذا يُؤجل انضمامك إلى الحزب الشيوعي » (١) .. ؟ وإن يكن الوجوديون يفرقون في الالتزام بين الأدب وسائر الفنون ، ويقولون إنهم لا يريدون للرسم ولا للنحت ولا للموسيقى أن تكون ملتزمة ، أو بالأحرى لا تفرض على هذه الفنون أن تكون على قدم المساواة مع الأدب في الالتزام ، ولم يكن أحد في العصور السابقة يطالب كاتباً صاحب فكرة في كتابته بأن يطبقها على الفنون الأخرى ، ولكن عادة التكلم عن الرسم استهوت عوام الموسيقيين والأدباء ، كما استهوت عادة التكلم عن الأدب عوام الرسامين ، وكأنه ليس هناك إلا فن واحد ، لا فرق في التعبير عنه بلغة أو بأخرى من لغات الفن . وليست التفرقة بين الأدب والموسيقى أو بين الأدب والرسم تفرقة في الشكل فحسب ، بل في المادة أيضاً ، فعمل أساسه الألوان والأصوات غير عمل آخر مادته الكلمات فليست الأنغام والألوان والأشكال بعلامات ذات مدلول ، إذ لا يحال بها على شيء آخر عنها .

بل إن الوجوديين يفرقون بين الشعر والنثر من ناحية الالتزام ، فيرون أن الكتابة النثرية هي مجال الالتزام ، لأن ميدان المعاني إنما هو النثر ، أما الشعر فلا يوجبون الالتزام فيه ، ويعدونه من باب الرسم والنحت والموسيقى ، ويوافقون القائلين باستحالة جعل الشعر « إلزامياً » فإن الشعر إذا كان يستخدم الكلمات كما يستخدمها النثر ، لا يستخدمها بنفس الطريقة ، بل لنا أن نقول إنه لا يستخدم الكلمات بمجال ، ولكنه يخدمها . والشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية . وحيث أن البحث عن الحقيقة لا يتم إلا بواسطة اللغة واستخدامها أداة ، فليس لنا أن نتصور أن هدف الشعراء هو في استطلاع الحقائق أو عرضها ، وهم كذلك لا يفكرون في الدلالة على العالم وما فيه ، ولا يرمون إلى تسمية المعاني بالألفاظ ، لأن التسمية تتطلب تضحية تامة بالاسم في سبيل المسمى . والشاعر أبعد ما يكون عن استخدام اللغة على أنها أداة ، وقد اختار طريقه اختياراً لارجوع فيه . وهو طريق فرضه عليه مسلكه الشعري في اعتبار الكلمات أشياء في ذاتها ، وليست بعلامات لمعان ، لأن غموض العلامة يتضمن إمكان النفاذ منها ، لنستشف من خلالها متى شئنا المعنى المدلول عليه ، كما نستشف شيئاً من وراء الزجاج .

( ١ ) انظر مقدمة سارتر لكتابه « مالأدب » ترجمة الدكتور محمد عنيى : ص ( ر ) .